

إسهامات النخبة الأندلسية بجاية في العلوم الدينية خلال العصر الوسيط.
دراسة إحصائية من خلال كتابي: التكملة لكتاب الصلة و عنوان الدراية

APORTACIONES DE LA ÉLITE ANDALUSÍ EN BUGÍA A LAS CIENCIAS RELIGIOSAS DURANTE LA ÉPOCA MEDIEVAL. ESTUDIO ESTADÍSTICO A TRAVÉS DE *AL-TAKMILA LI-KITĀB AL-ŠILA* Y *'UNWĀN AL-DIRĀYA*

مریم هاشمی

جامعة تلمسان

Meriem HACHEMI
Universidad de Tlemecén

Resumen

El artículo es un estudio de la vida cultural y científica en las ciudades más importantes del Magreb durante la época medieval, como Tlemecén, Fez y Túnez. En el siglo XIII d.C., Bugía se convirtió en un refugio para los eruditos y juristas andalusíes, especialmente con la intensificación de la conquista cristiana en la península ibérica. Estos recién llegados tuvieron un importante papel en la transmisión del legado científico y literario, ya que algunos de ellos dejaron constancia de sus aportaciones para la vida, en nuestro caso, de la ciudad de Bugía, como Ibn al-Abbār al-Āndalusī (fallecido en el 658 H.) en su libro *al-Takmila li-kitāb al-šila* y Abū al-'Abbās al-Gabrīnī (fallecido en el 704 H.) en su libro *'Unwān al-dirāya*. Vamos a presentarlos y analizar de forma estadística su papel en el estímulo del movimiento intelectual y científico en la ciudad de Bugía.

Palabras clave: Bugía; Élite andalusí; Hadiz; Tafsir; Jurisprudencia; *al-Takmila li-kitāb al-šila*; *'Unwān al-dirāya*.

* * *

CONTRIBUTIONS OF THE ANDALUSIAN ELITE IN BEJAIA TO
THE RELIGIOUS SCIENCES DURING THE MEDIEVAL ERA.
STATISTICAL STUDY THROUGH *AL-TAKMILA LI-KITĀB AL-ŠILA* AND *'UNWĀN AL-DIRĀYA*

Abstract

The article is a study of the cultural and scientific life in important cities of the Maghreb during the medieval times, as Tlemcen, Fes, and Tunis. By the 13th century A.D., Bejaia

became a refuge for Andalusian scholars and jurists, especially with the intensification of the Christian conquest in the Iberian Peninsula. These new arrivals had a significant scientific and literary legacy, as some of them recorded the contributions of the Andalusian elite in Bejaia, such as Ibn al-Abbār al-Andalusī (died on 658 H.) in his book *al-Takmila li-kitāb al-ṣīla* and Abū al-'Abbās al-Gabrīnī (died 704 H.) in his book *'Unwān al-dirāya*. We are going to introduce them and analyse statistically their roles in stimulating the intellectual and scientific movement in the city of Bejaia.

Keywords: Bejaia; Andalusian Elite; Hadith; Tafsir; Jurisprudence; *al-Takmila li-kitāb al-ṣīla*; *'Unwān al-dirāya*.

ملخص

المقال عبارة دراسة لأهمّ مدن المغرب الأوسط وهي: مدينة بجاية في الجوانب الثقافية والعلمية، حيث كانت مركزاً علمياً ينافس المراكز الإسلامية في المغرب مثل تلمسان وفاس وتونس، والمشرق الإسلامي كذلك، ومع القرن السابع الهجري/13م صارت بجاية ملجأ للعلماء والفقهاء الأندلسيين خاصة مع اشتداد حركة الاسترداد النصرانية في شبه الجزيرة الإيبيرية. وكان لهؤلاء الوافدين الجدد تركة علمية وأدبية لا يستهان بها، حيث سجّل لنا بعضهم عن إسهامات النخبة الأندلسية ببجاية منهم: ابن الأبار الأندلسي ت658هـ في كتابه: «التكملة لكتاب الصلّة»، وأبو العباس الغبريني ت704هـ في كتابه: «عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية». وسنحاول التعريف بهم وإبراز دورهم في تنشيط الحركة الفكرية والعلمية بمدينة بجاية.

الكلمات المفتاحية: بجاية، النخبة الأندلسية، التفسير، الحديث، الفقه، كتاب التكملة لكتاب الصلّة، كتاب عنوان الدراية.

1- المقدمة

تؤكد العديد من الشهادات أنّ بجاية كانت إحدى المراكز الثقافية والعلمية أكثر نشاطا في المغرب الإسلامي، حيث ضاهت بشهرتها مدنا كانت قائمة بذلك الوقت مثل: فاس، تونس، تلمسان... فاجتمع بها جهابذة المعرفة من مختلف الأصناف أطباء ومتصوفة وأدباء. ولهذا حظيت بجاية باهتمام كبير من قبل علماء الأندلس الذين هاجروا إليها جراء حركة الاسترداد المسيحي في شبه الجزيرة الإيبيرية، وكان لهؤلاء الوافدين تركة علمية وفكرية واسعة في العلوم الإسلامية والمعارف المختلفة ببجاية. لأنهم بلغوا من العلم درجة كبيرة جعلهم يفرضون وجودهم وهذا من خلال ما أنتجوه من مصنّفات في شتى العلوم. ولقد سجّل لنا بعضهم عن أبرز إسهامات العلماء الأندلسيين ببجاية أبرزهم: ابن الأبار: ت 658هـ في كتابه: «التكملة لكتاب الصلّة»، وأبو العباس الغبريني ت 704هـ في كتابه: «عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية».

وسنحاول في هذا المقال التعرف على مساهمة العلماء الأندلسيين الوافدين على بجاية في العلوم الدينية التي تمثّلت أساسا في التفسير والحديث والفقه وستكون هذه الدراسة إحصائية. محاولين تعقب الأسئلة التالية:

- ما هي أبرز التأثيرات الأندلسية ببجاية؟ وما أبرز إسهامات العلماء في مجال العلوم الدينية خاصّة؟

2- التعريف بالكتابين التكملة لكتاب الصلّة لابن الأبار الأندلسي ت 658هـ وعنوان الدراية لأبي العباس

الغبريني ت 704هـ:

كان من الطبيعي أن تكون بجاية أحد أهمّ المراكز العلمية التي تطلّع إليها الأندلسيون وغيرهم وهذا لعلو مكانتها في مختلف العلوم، ولن ننساق للتوسع في مركز بجاية في مجال العلم وكثرة المتوجّهين إليها بل سنركّز على أبرز اسهّامات النخبة الأندلسية في مجال العلوم الدينية فقط من خلال كاتبين من علماء بجاية أحدهما أندلسي الأصل وهو ابن الأبار ت 658هـ والآخر بجائي ألا أبو العباس الغبريني ت 704هـ. لكن قبل هذا يجدر بنا إعطاء لمحة عن الكاتبين والكتابين.

1-2- التّعريف بابن الأَبّار الأندلسي ت658هـ وكتابه التّكملة لكتاب الصّلة:

فهو محمّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأَبّار يكتب بأبي عبد الله، ولد في بلنسية سنة 575هـ. عكف ابن الأَبّار منذ صغره على العلم والتّحصيل ممّا أهله على تولي مناصب هامّة فتولى خطّة الكتابة ببلنسية لحاكمها الموحد السيد أبي عبد الله بن أبي حفص ثمّ لابنه السيد أبي زيد¹. ثمّ ترأس السفارة إلى سلطان تونس أبو زكريا يحيى الأوّل الحفصي (625-647هـ) يستغيثه من استفحال خطر النصارى على بلنسية. والذي دفعه للهجرة إلى إفريقية فاستقرّ ببجاية أوّلاً ثمّ توجّه إلى تونس وعيّن كاتباً في بلاط أبي عبد الله المستنصر². توفي مقتولاً بعدما دسّ عليه فريقياً من خصومه إلى الأمير المستنصر الذي اشتدّ عليه غضبه عليه فأمر بجلده ثمّ قتله سنة 658هـ. ومن آثاره: إعتاب الكتاب، الحلة السيّراء، تحفة القادم، التّكملة لكتاب الصّلة، درر السمط في خبر السبط...³.

كتاب «التّكملة لكتاب الصّلة» قصد به ابن الأَبّار استتمام ما بدأ به ابن الفرضي لمعجمه «تاريخ علماء الأندلس» الذي ذيلّه ابن بشكوال بكتابه «الصّلة». وأكمل ابن الأَبّار العمل⁴. وهذا الكتاب عبارة عن تراجم لأسماء العلماء الأندلسيين مرّبين حسب حروف الهجاء، وفي آخر كلّ حرف يذكر أسماء العلماء الذين وفدوا على الأندلس من المغرب أو المشرق. واعتبر المستشرق دوزي ابن الأَبّار مؤرخاً ثبّتا دقيقاً جديراً بكل ثقة⁵.

2-2- التّعريف بأبي العباس الغبريني ت704هـ:

أحمد بن أحمد الغبريني يكتب بأبي العباس ولد سنة 644هـ/1246م، استفاد أبو العباس الغبريني من النشاط العلمي الذي شهدته بجاية، حيث أقبل على دراسة النحو واللغة والأدب

1 ابن الأَبّار، «التّكملة لكتاب الصّلة»، تحقيق: معروف بشّار عوّاد، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2011، ج1، ص10-12، لأحمد بن أحمد الغبريني، «عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السّابع ببجاية»، تحقيق: راجح بونار، الشركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1970، ص ص257-258، عبد الواحد ذنون طه، «أبحاث في تاريخ المغرب والأندلس وصور من التّواصل الحضاري مع المشرق»، ط1، دار الحامد للنّشر والتّوزيع، الأردن، 2014، ص 370.

2 الغبريني، المصدر السّابق، ص ص257-261، عبد الواحد ذنون طه، المرجع السّابق، ص371.

3 المصدر نفسه، ص261.

4 ابن الأَبّار، المصدر السّابق، ص52.

5 محمّد البركة، سعيد بنحمادة، «مصادر تاريخ الغرب الإسلامي»، ط1، مطبعة أنفو برانت، الرّباط،

والفقه على يد علماء أجلة ناهز عددهم حسب ما سجّله هو على نفسه سبعين عالماً⁶ فنال بضاعة وافرة تمكن من خلالها من بلوغ مستوى علمي لائق وظهر أنه واصل دراسته وتخصّصه في عدة علوم في مرحلته التعليمية فدرس العلوم الدينية من قراءات وتفسير وحديث وفقه وتصلّح في العلوم العقلية منها: الطب والرياضيات...⁷.

تولى منصب القضاء وذكر النباهي أنّه لما هذا المنصب قال: «بأنّه كان شديداً في أحكامه وكان مهيباً وقوراً وكان قبل القضاء يحضر الولائم ويدخل الحمام ولما تولّى القضاء سلك سبيل الجدّ فترك حضور الولائم، وتجنّب دخول الحمام وآثر قلّة الاختلاط بالناس»⁸.

ومن أبرز مؤلفاته كتابه الشهير: **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية** وهو من المصادر التاريخية في المكتبة العربية عن الحياة العلمية في القرن السابع الهجري/14م في بجاية والمغرب الأوسط، فقد ضم مائة وثمانية ترجمة من شيوخ العلم ورجال الفقه والتصوف والأدب في القرن السابع الهجري/14م وأوضح ذلك في مقدمته: «إني قد رأيت أن أذكر في هذا التقييد من عُرف من العلماء ببجاية في هذه المائة السابعة التي نحن في بقيّة العشر الذي هو خاتمها. ختمها الله بالخيرات وجعل ما بعدها مبدءاً للمسرات. أذكر منهم من اشتهر ذكره ونبل قدره وظهرت جلالته وعرفت مرتبته في العلم ومكانته»⁹.

3- التأثيرات الأندلسية ببجاية

اعتبرت بجاية في العصر الوسيط من أهمّ الحواضر العلميّة جعلها تملك ماضي هامّ نظراً لموقعها الجغرافي المميّز، كما أنّها بعد تخريب قلعة بني حمّاد أصبحت عاصمة الحمّادين، والعاصمة الثانية بعد تونس في عهد الحفصيين. كلّ هذا ساهم في ازدهار الفكر والثقافة فمنذ القرن الخامس الهجري/11م تبوّأت بجاية مكانة خاصّة ضمن المراكز العلميّة بالمغرب الإسلامي، حيث أضحّت بداية من العهد الحمّادي ملجأً للعلماء وكعبة لطالاب العلم، وهذا نظراً لاعتناء الأمراء الذين تداولوا على حكمها بتنظيم تدريس العلوم في الجامع الأعظم وبناء الزوايا والمعاهد العلميّة، واهتمّوا بالخزانات وعمّروها بالكتب والتأليف النادرة ممّا جعل بجاية قاعدة لكلّ قاصدٍ لاسيما المهاجرين الأندلسيين الذين نزحوا إليها بعد سقوط أهمّ مدنهم بيد

6 ناصر الدين سعيديوني، «من التّراث التّاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي»، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999، ص128.

7 الغبريني، المصدر السابق، ص10.

8 النباهي، المرقبة العُليا، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1983، ص132.

9 الغبريني، المصدر السابق، ص27.

النّصارى. منها: قرطبة عام 1236/هـ، بلنسية 636/هـ1238م، مرسية 641/هـ1343م، شاطبة وجيان واشيلية 646/هـ1248م...¹⁰.

ولقد ساهمت الجالية الأندلسية ببجاية في إحداث تغييرات متعدّدة في معالم المدينة أثرت دون شكّ في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

1.3- في المجال الاقتصادي والاجتماعي :

ففي المجال الاقتصادي أنّه يعود الفضل لهم في إدخال زراعة محاصيل لم تجد العناية لدى الأهالي مثل: زراعة حبّ الملوك (الكرز) والإجاص والتّفاح والتّوت. ضف إلى ذلك أنّهم عملوا على استصلاح مساحات شاسعة من الأراضي جالبين إليها المياه في القنوات لسقي المحاصيل الزراعية¹¹. كما امتدّ دور الأندلسيين في مجالات الأنشطة الصّناعية والحرفية وكان إيجابيا وفعّالا. وما أورده ابن سعيد الأندلسي خير مثال على ذلك: «... اختصّت المرية ومالقة ومرسية بالوشى المذهب الذي يتعجّب من حسن صنعه أهل المشرق، ويصنع في غرناطة وبسطة من الثياب المحررة الصنف الذي يعرف بالمبلد المختم ذو الألوان العجيبة مرسية... الحديد ومن السّكاكين والأمقاص المذهبة ويصنع بها ومالقة الزجاج الغريب العجيب...»¹². ومن أهمّ الحرف والصّنائع التي اشتغل بها الأندلسيون وهي: صناعة التّسيح والمخمل (القطيفة) وصناعة الشّاشية والأنسجة الحريرية، كما برعوا في صناعة الزّرابي ذات الطّابع الأندلسي وكذلك صناعة الصّابون والمستحضرات العطرية والمجوهرات والحلي...¹³.

2.3- في المجال الفني والثقافي :

لم يقتصر تأثير الأندلسيين على النّشاط الاقتصادي فحسب بل كان لهم دور أيضا في المجال الثقافي والفنّ ونمط العمران. ففي عهد الأمير المستنصر بالله (647-675/هـ-1249م-1277م) مثلا: قدّمهم مناصب هامة في الدّولة كالوزارة والحجابه والقضاء إلى جانب التّدريس

10 ناصر الدين سعيدوني، «الجالية الأندلسية بالجزائر: مساهمتها العمرانية ونشاطها الاقتصادي ووضعها الاجتماعي»، ضمن كتاب: دراسات أندلسية: مظاهر التأثير الأيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، ط2، ، البصائر الجديدة للتّشريح والتّوزيع، الجزائر، 2014، ص 12.

11 ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه، ص ص 30-31.

12 أحمد بن محمّد المقرئ، «نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب»، تحقيق: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، 1968، ج1، ص ص 201-202.

13 حنيفي هلايلي، «المورسكيون الأندلسيون في المغرب الأوسط خلال القرنين 16 و17م»، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2000، ص ص 163، 165.

والتّعليم. ومن أبرزهم: أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي ت658هـ/1260م، أبو بكر محمّد بن سيّد الناس ت659هـ/1260م...¹⁴.

لا يمكن إغفال تفوّق الأندلسيين عن سواهم في العلوم بصفة عامّة، وستصبح بجاية وارثة العلوم الأندلسيّة. وتجلّى تأثيرهم مجال التّعليم حيث أنّهم ساهموا في تنظيم حلقات التّعليم بالزّوايا والمساجد خصوصا بالجامع الأعظم ومن أبرزهم: أبو بكر محمّد بن سيّد الناس ت1260هـ/1260م والذي أشاد به الغبريني في قوله: «كان رواية حافظا بالحديث عارفا بجراله وبأسمائهم وبتاريخ وفاتهم... أقرأ وأسمع وكثر الآخذون عنه والسّامعون منه والمُقتدُون به»¹⁵. ويظهر التأثير الأندلسي أيضا في منهج التّعليم والذي كان متّبعيا في بلاد المغرب الإسلامي حيث أنّهم يبدوون بتحفيظ القرآن الكريم للأطفال دون غيره، أمّا الأندلسيون فأخطوا تحفيظ القرآن الكريم للأطفال مع تعليم الخطّ واللّغة والحساب¹⁶. ولنا فصل في مقدّمة ابن خلدون وعنوانه بتعليم الولدان واختلاف مذاهب الأمصار الإسلاميّة في طرقة: «فهاهنا الأمصار اختلفت طرقهم في تعليم القرآن للولدان باختلافهم... فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الافتصار على تعليم القرآن فقط... (فهم) لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر... وأما أهل الأندلس فمذهبهم تعليم القرآن... جعلوه أصلا في التّعليم فلا يقتصرون لذلك عليه فقط بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشّعر في الغالب والتّرسل وأخذهم بقوانين العربيّة وحفظها وتجويد الخطّ والكتاب»¹⁷. ولم يتوقّف نشاط العلماء الأندلسيين ببجاية عند هذا الحدّ فساهموا في ازدهار مختلف العلوم ومن بينها العلوم الدينيّة (علم القرآن، الحديث والفقه وأصوله). ومن ذلك ما أشاد به العبدري عن بجاية في رحلته: «وهذا البلد بقيّة قواعد الإسلام ومحلّ جلّة من العلماء أعلام»¹⁸.

14 ناصر الدّين سعيدوني، المرجع السّابق، ص12.

15 الغبريني، المصدر السّابق، صص246-247.

16 عبد الرحمن بن خلدون، «مقدّمة ابن خلدون»، تحقيق: أحمد جاد، ط1، دار الغد الجديدة للطبّاعة والنّشر، القاهرة، 2012، صص539-540، محمّد عادل عبد العزيز، «التّربية الإسلاميّة في المغرب أصولها المشرقيّة وتأثيرات الأندلسيّة»، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، 1987، ص10، سيدي موسى محمّد الشّريف، «التّربية والتّعليم بالجزائر في العصر الوسيط (بجاية نموذجا)»، حولية المؤرّخ، العدد 2، الجزائر، 2002، ص92، عبد الرّحمن كريب، «منهج التّعليم وأثره في حركة الاجتهاد والإبداع في تلمسان الزّبانيّة»، مجلّة الفكر الجزائري، العدد 4، الجزائر، 2009، ص164.

17 المصدر نفسه، صص539-540.

18 محمّد العبدري، «رحلة العبدري»، تقديم سعد بوفلاحة، منشورات بونة للبحوث والدّراسات، الجزائر،

4 - اسهامات النخبة الأندلسية ببجاية في العلوم الدينية

في هذه الدراسة سنحاول إحصاء النخبة الأندلسية ببجاية ومجال تخصصهم ونماذج من تراجمهم حسب الترتيب الزمني، واعتمدنا في جمع المادة العلمية على كتب التراجم خاصة كتابي التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار ت658هـ وعنوان الدراية للغبريني ت704هـ، إلا أن هذه الإحصائية تبقى نسبية لأنه من الصعب حصر كل العلماء.

من خلال كتاب التكملة لكتاب الصلة		
62,5%	10	القرن 6هـ/12
37,5%	6	القرن 7هـ/13م
من خلال كتاب عنوان الدراية		
8%	3	القرن 6هـ/12م
91%	33	القرن 7هـ/13م

التعليق

- احتوى كتابي التكملة لكتاب الصلة وعنوان الدراية تراجم لعلماء المغرب والأندلس. ولقد ركزنا بالأساس على تراجم العلماء الأندلسيين الذين ارتحلوا إلى بجاية باعتبار أنها تعرف بأحوال العلماء ومجال تخصصهم خاصة فيما يشمل العلوم الدينية.

- يلاحظ من خلال كتاب التكملة لكتاب الصلة أخصينا حوالي 16 عالما أندلسيا هاجروا إلى بجاية. منهم 10 علماء في القرن السادس الهجري/12م و6 علماء من القرن السابع الهجري/13م، أما كتاب عنوان الدراية فأخصينا حوالي 36 عالما منهم: 3 علماء فقط يعود تاريخ الزماني للقرن السادس/12م و33 عالما من القرن السابع الهجري/13م.

أولا : من خلال كتاب التكملة لكتاب الصلة :

فخلال القرن السادس الهجري/12م شمل 10 علماء أندلسيون توجهوا لبجاية أي ما يعادل نسبة 62,5% وهي أكبر نسبة . ويرجع أسباب إقبال الأندلسيين على هذه الحاضرة منها:

** الاستقرار السياسي لبجاية، ملائمة المدينة للأندلسيين، قرب المسافة، ازدهار بجاية ثقافيًا.
** التحصين الطبيعي للمدينة ممّا جعلها محميّة من خراب قبائل بني هلال، إضافة إلى الطّبيعة الخلّابة لبجاية وهذا الجمال السّاحر يدفع إلى التأمّل العقلي والباطني ويعطي للعقل فسحة التّحرّر من قيود العقل. وهذه الأحوال هي التي قصدها سيدي أبو مدين شعيب بقوله: «مدينة معينة على طلب الحال»¹⁹.

أمّا الفترة الثّانية من القرن السّابع الهجري/13م ومثلت مرحلة انتقالية بسقوط الدّولة الموحّديّة واشتداد حركة الاسترداد المسيحي إلاّ أنّه سجّل حوالي 6 علماء فقط أي ما يعادل نسبة 37,5% ويمكن أن نفسّر ذلك إلى:

** انشغال ابن الأبار صاحب كتاب التّكملة عن تدوين كلّ العلماء المرتحلين من الأندلس، وهذا نظرا للمهام الإداريّة التي أوكلت له في ظلّ السّلطة الحفصيّة.

** مقتل ابن الأبار منتصف القرن السّابع الهجري/13م أي سنة 658هـ وبالتالي انتهاء الأحداث.

ثانيًا: من خلال كتاب عنوان الدرّاية:

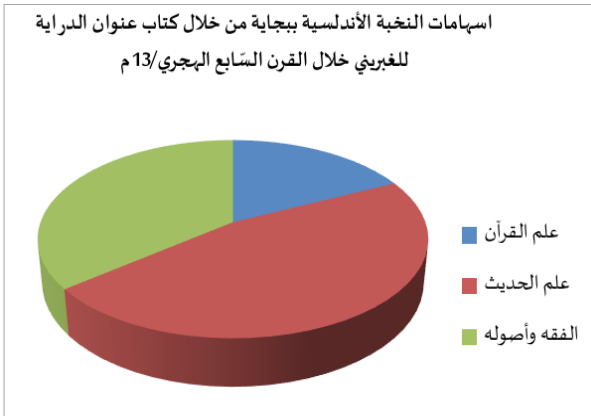
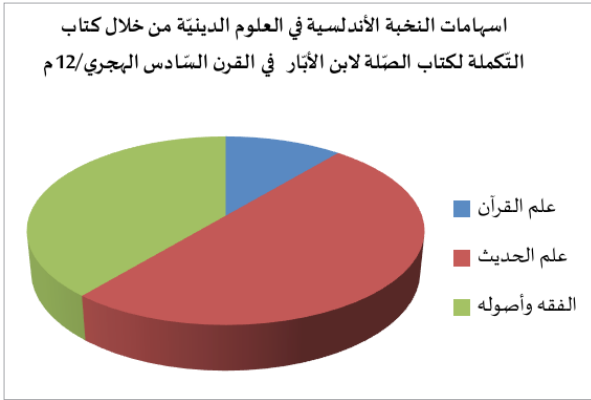
يلاحظ العدد الاجمالي للّتخبة الأندلسية ببجاية من خلال كتاب عنوان الدرّاية لأبي العباس أحمد بن أحمد الغبريني ت704هـ حوالي 36 عالم من فترتين القرن السّادس والسّابع الهجريين/12-13م وهي موزّعة على الشّكل الثّالي:

القرن السّادس/12م فقدرّ ب3 علماء فقط أي ما يعادل نسبة 8% وهي نسبة قليلة وذلك أنّ المؤلّف قيّد العلماء الذين عاشوا في القرن السّابع الهجري/13م أي في حدود فترة 699هـ، إلاّ أنّه رأى بأن يصل بذكر علماء القرن السّابع/13م بعض علماء القرن السّادس الهجري/12م وهذا بهدف التّبرك بهم ولقرب عهدهم بالقرن السّابع الهجري/13م²⁰. وهم: أبو مدين شعيب ت599هـ، أبو محمّد عبد الحقّ الأشبيلي ت582هـ، أبو عبد الله العربي.

أمّا القرن السّابع الهجري/13م فانفرد ب33 عالما أندلسيًا هاجروا إلى بجاية أي ما 91% وهي نسبة كبيرة وهذا لأنّ فترة التي عني بها المؤلّف هي القرن السّابع الهجري/13م.

19 دالي يوسف عثمان، «الحركة الفكرية على عهد بني زيان 633-957هـ»، قرطاس الدّراسات الحضاريّة، العدد الثّجريبي، تلمسان، 2008، ص ص 120-121.

20 الغبريني، المصدر السّابق، ص 55.



التعليق على التمثيل البياني :

- اعتمدنا على الدراسة الإحصائية لرصد تخصصات علماء الأندلس المتوجهين إلى بجاية خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/12-13م وهذا انطلاقا من كتاب التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار ت658هـ وعنوان الدراية للغبريني ت704هـ.
- وقد أمكننا جمع هذه النخبة الأندلسية والتي كانت متعددة التخصصات إلا أننا اقتصرنا على مساهمتهم فيما يشمل العلوم الدينية (علم القرآن، الحديث، الفقه وأصوله).
 - يلاحظ إقبال النخبة الأندلسية ببجاية على العلوم الدينية تدريسا وتأليفا.
 - الإشكال الذي وقعنا فيه هو أن بعض العلماء تتداخل اهتمامهم في الدراسات الشرعية

بسبب تبخّرم في مختلف العلوم نقلية وعقلية، إضافة إلى الترجمة المختصرة للعلماء.
 - يلاحظ قلة النخبة الأندلسية ببجاية والمهتمة بعلم القرآن وهذا خلال القرن السادس الهجري/12م والسابع الهجري/13م ويعود سبب ذلك:
 - انشغال العلماء في استنباط الأحكام الفقهية.
 - البحث في علم القرآن ما هو إلا امتداد لدراسة المشاركة، وكما نعلم بأن الأندلسيين كانوا مجددّين ومجتهدين ولم يكونوا مقلّدين. ويذكر في هذا السياق عبد الرحمن بن خلدون في مقدّمته المشهورة:

وبالحملة فالمشاركة على هذا الفن أقوم من المغاربة وسببه أنه كمالي في العلوم اللسانية... والمشرق أوفر عمراناً من المغرب كما ذكرناه... وإنما اختصّ أهل المغرب من أصناف علم البديع خاصّة وجعلوه من جملة علوم الأدب الشعريّة... وإنما حملهم الولوع بتزيين الألفاظ وأنّ علم البديع سهل المأخذ، وصعبت عليهم مأخذ البلاغة والبيان لدقّة أنظارها وغموض معانيها فتحافوا عنها²¹.

إلا أنه لم يمنع من بروز نخبة أندلسية متفوّقة ببجاية اهتمت بعلم القرآن تدريسا وتأليفا أبرزهم: أبو الحسن علي بن إبراهيم الحرّالي التجيبي ت637هـ أو 638هـ ذكر الغبريني أنه: «تعلّم عليه الفاتحة مدة ستة أشهر، وكان يلقي في علم التفسير منزلة أصول الفقه من الأحكام» ومن أبرز تأليفه: «مفتاح اللب (أو الباب) المقفل على فهم الكتاب المنزل»²².
 كما نلاحظ أنّ هناك تقارب في اهتمام النخبة الأندلسية ببجاية بالاهتمام بعلمي الحديث والفقه وأصوله تدريسا وتأليفا. إلا أنه يبقى علم الحديث يحتل صدارة العلوم عناية بالنسبة للنخبة الأندلسية. وهذا راجع إلى عدّة أسباب منها:

- تأثير علم الحديث في بقاء العلوم ويدلّ هذا على مدى التفوّق العلمي عند علماء الحديث ومدى تأثيرهم في كافة الأوساط العلمية، وهو منهج علمي قائم على الضبط والتحري ابتكروه ووضعه أساساً لأبحاثهم وعلومهم وانتشرت فعاليته ليشمل مختلف ميادين الدراسات كالتاريخ.

- علم الحديث بطبيعة مواضيعه تربوي أكثر في زمن كثر فيه المحن والفساد الأخلاقي.
 - الاهتمامات الفكرية لملوك الموحدّين بعلم الحديث، وهذا بعدما تلقى الفقه المالكي

21 عبد الرحمن بن خلدون، المقدّمة...، ص 344.

22 الغبريني، المصدر السابق، ص 146.

وممّثلوه ضربة قوية بدءا من عبد المؤمن بإحراق كتب الفروع عام 550هـ ودعا إلى قراءة الحديث²³.

الخاتمة

عرفت العلوم الدينية ببجاية راجا حيث نبغ بها الكثير من العلماء الذين صنّفوا العديد من التأليف والتعليق والحواشي على مؤلفات سابقة وهذا نظرا لارتباطها الوثيق بالحياة اليومية للمجتمع البجاوي.

شاركت النخبة الأندلسية ببجاية في إثراء الساحة الثقافية وذلك من خلال حلقات العلمية التي كانت تعقد بالمساجد أو في المجالس السلطانية. فكان لهم الشرف أنهم تخرّجوا على أيديهم نخبة من العلماء.

أمّا عن إسهاماتهم في العلوم الدينية فنلاحظ أنهم تفوّقوا في هذا المجال منافسين بذلك أقرانهم المشاركة الذين كان لهم السبق في ذلك.

كانت المدرسة الأندلسية ببجاية في العلوم الدينية أم المدارس وهذا لأنّها جمعت بين الحوار وفتحت باب المناقشة وحلّ ما أففل على الطلبة من أسئلة، ولهذا كان لها الفضل في الإمداد والاستمداد إلى كل أقطار المغرب وحتى المشرق.

23 إبراهيم حركات، «مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9هـ/15م»، ط1، دار الرّشاد

الحديثة، الرباط، 2000، ص 64.

المصادر:

- إبراهيم حركات، «مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9هـ/15م»، ط1، دار الرّشاد الحديثة، الرّباط، 2000.
- ابن الأَبَّار، «التّكملة لكتاب الصّلة، تحقيق: معروف بشار عوّاد، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2011.
- أحمد بن أحمد الغبريني، «عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السّابع ببجاية»، تحقيق: رايح بونار، الشركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع، الجزائر، 1970.
- أحمد بن محمّد المقرّي، «نفع الطيب من غصن الأندلس الرّطيب»، تحقيق: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، 1968، ج1.
- النباهي، المرقبة الغلّيا، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1983.
- حنيفي هلايلي، «المورسكيون الأندلسيون في المغرب الأوسط خلال القرنين 16 و17م»، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2000.
- دالي يوسف عثمان، «الحركة الفكرية على عهد بني زيان 633-957هـ»، قرطاس الدّراسات الحضاريّة، العدد التّجريبي، تلمسان، 2008.
- سيدي موسى محمّد الشّريف، «التّربية والتّعليم بالجزائر في العصر الوسيط (بجاية نموذجاً)»، حولية المؤرّخ، العدد 2، الجزائر، 2002.
- عبد الرحمن بن خلدون، «مقدمة ابن خلدون»، تحقيق: أحمد جاد، ط1، دار الغد الجديدة للطباعة والنّشر، القاهرة، 2012.
- عبد الرّحمن كريب، «منهج التّعليم وأثره في حركة الاجتهاد والإبداع في تلمسان الرّيانيّة»، مجلّة الفكر الجزائري، العدد 4، الجزائر، 2009.
- عبد الواحد ذنون طه، «أبحاث في تاريخ المغرب والأندلس وصور من التّواصل الحضاري مع المشرق»، ط1، دار الحامد للنّشر والتّوزيع، الأردن، 2014.
- محمّد البركة، سعيد بنحمادة، «مصادر تاريخ الغرب الإسلامي»، ط1، مطبعة أنفو برانت، الرّباط، 2016.
- محمّد عادل عبد العزيز، «التّربية الإسلاميّة في المغرب أصولها المشرقيّة وتأثيرات الأندلسيّة»، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، 1987.
- محمّد العبدري، «رحلة العبدري»، تقديم سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدّراسات، الجزائر، 2007.
- ناصر الدين سعيدي، «من التّراث التّاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي»، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999.

ناصر الدين سعيدوني، «الجالية الأندلسية بالجزائر: مساهمتها العمرانية ونشاطها الاقتصادي ووضعها الاجتماعي»، ضمن كتاب: دراسات أندلسية: مظاهر التأثير الأيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، ط2، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.